موضوعات الشعر الجاهلي

لعل أقدم من حاول تقسيم الشعر العربي جاهليًّا وغير جاهلي إلى موضوعات ألف فيها ديوانًا هو أبو تمام المتوفى حوالي سنة ٢٣٢ للهجرة؛ فقد نظمه في عشرة موضوعات، هي الحماسة، والمراثي، والأدب، والنسب، والهجاء، والأضياف ومعهم المديح، والصفات، والسير، والنعاس، والملح، ومذمة النساء. وهي موضوعات يتداخل بعضها في بعض فالحديث عن الأضياف؛ إما أن يدخل في المديح أو في الحماس والفخر، والسير والنعاس يدخلان في الصفات، كما تدخل مذمة النساء في الهجاء، أما الملح يقصد به المعنى التهذيبي.

. وزَّع قدامة في كتابة نقد الشعر هذا الفن على ستة موضوعات، هي المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه وحاول بعقله المنطقي أن يرد الشعر إلى بابين أو موضوعين هما المدح والهجاء؛ فالنسيب مديح، وكذلك المراثي، ويدخل في المديح المراثي والافتخار والشكر ويدخل في الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء والتأنيب. كما يدخل في الحكمة الأمثال والزهد والمواعظ، أما اللهو فيدخل فيه الغزل والطَّرْد وصنعة الخمر والمجون.

وجعل ابن رشيق موضوعات الشعر في كتابه العمدة تسعة، وهي النسيب، والمديح، والافتخار، والرثاء، والاقتضاء والاستنجاز، والعتاب، والوعيد والإنذار، والهجاء، والاعتذار، ومن السهل أن يرد موضوع الاقتضاء والاستنجاز إلى المديح، والوعيد والإنذار إلى الهجاء، وأن يضم العتاب إلى الاعتذار.

ويقول أبو هلال العسكري: "وإنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة: المديح والهجاء والوصف والتشبيه والمراثي، حتى زاد النابغة فيها قسمًا سادسًا وهو الاعتذار فأحسن فيه" وهو تقسيم جيد؛ غير أنه نسي باب الحماسة، وهو أكثر موضوعات الشعر دورانًا على لسانهم.

ولا نستطيع أن نرتب هذه الموضوعات في الشعر الجاهلي ترتيبًا تاريخيًّا، ولا أن نعرف كيف نشأت وتطورت، فإن الأصول الأولى لهذا الشعر انطمرت . وإن كنا نستطيع أن نظن ظنًّا أنها تطورت من أناشيد دينية كانوا يتجهون بها إلى آلهتهم، يستعينون بها على حياتهم؛ فتارة يطلبون منها القضاء على خصومهم، وتارة يطلبون منها نصرتهم ونصرة أبطالهم، ومن ثم نشأ هجاء أعدائهم ومدح فرسانهم وسادتهم، كما نشأ شعر الرثاء وهو في أصله تعويذات للميت حتي يطمئن في قبره، وفي أثناء ذلك كانوا يمجدون قوى الطبيعة المقدسة التي تكمن فيها آلهتهم والتي تبعث فيهم الخوف؛ ومعنى هذا كله أن موضوعات الشعر الجاهلي تطورت من أدعية وتعويذات وابتهالات للآلة إلى موضوعات مستقلة.

ويظهر أنه كانت لا تزال في نفوسهم بقية من هذه الصلة القديمة بين الشعر ودعاء الآلهة؛ يدل على ذلك أكبر الدلالة ما جاء في القرآن الكريم من كثرة الربط بين الشعر والسحر وتعاويذ الكهنة؛ فقد كانوا يرمون الرسول في بدء دعوته تارة بأنه شاعر وتارة ثانية بأنه كاهن وتارة ثالثة بأنه ساحر {وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} ورد عليهم القرآن دعواهم الكاذبة مرارًا في مثل: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} وواضح أن القرآن الكريم يحكي على ألسنتهم ما كانوا يؤمنون به من العلاقة بين الشعر والكهانة والسحر، وكانوا يزعمون أن الشياطين تنزل على الشعراء كما تنزل على الكهان، وزعموا أن الأعشى كان له

شيطان ينفث في وعيه الشعر يسمى مسلا ، ويؤكد الأسطورة أبو النجم؛ فيزعم أن لكل شاعر شيطانًا إما أنثى وإما ذكرًا، يقول:

إني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

موضوعات الشعر :

١-**الهجاء** : وهو من الفنون الشعرية الغنائية ومن أبرز موضوعات الشعر الجاهلي، حيث يعبّر فيه الشعراء عن عاطفة الغضب أو الاستهزاء بغيرهم واحتقارهم، تمامًا كما هو السب والشتم، فهو أيضًا نقيض المدح، كأن يصف الشاعر خصمه مثلًا بالجبن والبخل. قد كان الهجاء في العصر الجاهلي مرتبطًا بدرجة كبيرة بروح الصحراء التي تقوم على التنافس وشن الحروب والغارات بين القبائل، على اعتبار أنّ الشاعر لسان قبيلته، حيث كان الهجاء في تلك الفترة تنديدًا بعيوب الشخصية للأفراد أو احتقارًا لجماعات معينة ، يقول قرنه عبد قَيس بن خفاف البرجمي :

الابيات ص (٢٠٠) حفظ (٣) أبيات

فاصبحت اعددت للنائبا ت عرضا بريئا وعضبا صقيلا

٢-الفخر والحماسة :غرضان بارزان من أغراض الشعر الجاهلي والفخر هو التغنّي بالأمجاد، وفخر الشاعر بنفسه وبقبيلته وهو نوعان: شعر الفخر الشخصي، وشعر الفخر القبلي، ولعلّ من أبرز الأمثلة على الفخر الشخصي معلقة طرفة بن العبد ومعلقة عنترة بن شداد، أمّا معلقة الشاعر عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة فهما في شعر الفخر القبلي، حيث كان لا يخلو شعر كل شاعر جاهلي من غرض الفخر، والفخر عند الجاهليين يقوم على التغني بالبطولة والشجاعة والشهامة وكثرة الحروب والغارات والنصر والقوة والبأس ، ومن الأمثلة على شعر الفخر والحماسة ما جاء في معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي .

الابيات ص (٢٠٤) حفظ اول (٣ أبيات)

متى ننقل الى قوم رحانا يكون في اللقاء لها طحينا

٣- **الغزل:** فقد كان فنًا مطروقًا من الشعراء كافة، حيث تغنوا به جميعهم واتخذوه حلية لقصائدهم وزينة لأشعارهم، ويعد الغزل من أقدم الفنون الشعرية عند الشعراء وأكثر الأغراض الشعرية شيوعًا وانتشارًا، كونه متّصلًا بالإنسان وتجاربه الذاتية بالحب وتوظيف العواطف والأحاسيس، وقد تغزل الشاعر الجاهلي بالمرأة ووصفها بعواطفه وخفقات قلبه بأروع اللوحات الوصفية، كما عُرف من الغزل في الشعر الجاهلي نوعان: الغزل الصريح والغزل العفيف ، والشعراء كانوا يكثرون من الوقوف على الأطلال لوصفهم ارتحال الأحبة ووصف محاسن المحبوبة كما في قصيدة الثقب العبدي :

الابيات ص (٢١٣) حفظ بيتين (أفاطم قبل بينك متعيني ومنعك ما سألت كأن تبيني)

٤- الوصف عند الحديث عن هذا النوع من الغرض الشعري نجد أنّ العديد من الشعراء قد تطرقوا له ، فقد أحاط الشعراء الجاهليّون في أوصافهم بمختلف الظواهر البيئية التي كانوا يعيشون فيها، حيث شغل الوصف جزءًا كبيرًا من شعرهم، فوصفوا جمال الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة والساكنة والمتحركة، فصوروا الصحراء وما تحتوي من جماد وحيوان وما يمكن أن يعتريها من الرياح والسحب والأمطار والظواهر المناخية المختلفة، يقول امرؤ القيس في وصف الفرس :

له ايطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل

٥- المدح : وهو غرض بارز من أغراض الشعر الجاهلي، حيث كان الشعراء الجاهليّون يوظفون المدح في أشعارهم إشادة بشخص عظيم، أو قد يكون إعجابًا وإكبارًا لأعمال جليلة، أو قد يكون اعترافًا شعريًّا بصنع جميل، ولربما رغبة في معروف، أو حبًّا في أخذ العطايا والمنح من الخلفاء ورؤساء القبائل، وكانت المعاني التي يستخدمونها هي تلك المستخدمة في الفخر والتغني بالأمجاد، ومن أشهر الشعراء الجاهليين الذين اشتهروا بالمدح ثلاثة هم: الشاعر زهير بن أبي سلمى، والشاعر النابغة الذبياني، وأعشى قيس.

٦-الرثاء : يعد الرثاء من الأغراض البارزة في الشعر الجاهلي، إذ طالما بكى الشعراء على من رحل عن دنياهم من أحبائهم وأقاربهم وسبقوهم ورحلوا إلى الدار الآخرة، وقد عرف العرب الرثاء قديمًا، وبشكل كبير في العصر الجاهلي، إذ كان الناس يندبون الموتى ويقفون على قبورهم على مر السنوات مستذكرين خصالهم ومناقبهم، ويعد رثاء المرأة للرجل في ندب الموتى أرق شعورًا وأدق حسًا، كما أن حياة الناس في العصر الجاهلي كانت تقوم كثيرًا على الحروب والقتل وسفك الدماء، وما كان منهم إلا أن يذرفون الدموع على أحبائهم وأقاربهم. كقول الخنساء في رثاء اخيها صخر :

الابيات ص (٢٠٨) حفظ اول ٣ أبيات

(قذى بعينك ام بالعين عوار أم ذرفت أن خلت من اهلها الدار)

٧- الحكمة :هي فن مميز من فنون الشعر العربي تهدف إلى تقديم النصح والإرشاد والموعظة، وغالبًا ما تأتي تعبيرًا عن تجربة صاحبها الذاتية وعن طول تبصّر في أمور الحياة، وامتازت بصدق النظرة والشمول العام للفكرة ، وقد كان العرب في العصر الجاهلي لا يعدّون الشاعر فحلًا إلا حين ينطق بالحكمة، حيث جاءت الحكمة على قدر واضح من النضج العقلي والأسلوب السهل الواضح البعيد عن التكلف . كقول عدي بن رعلاء الغساني :

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء